IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الاكاديمية العلمية
JOURNAL OF LANGUAGE STUDIES
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: http://jls.tu.edu.iq

Empathy for Animals in Andalusian poetry, The Era of Tawa'f and Moravids

Ibtihal Abdul Karim Faisal .lecuturer*
College of Education for Women / Tikrit Universit
E-mail: ebtihal.faisal@tu.edu.iq

Prof. Dr .Ramadan Saleh Abbad
College of Education for Women / Tikrit Universit
E-mail: Ramadn.ibad@tu.edu.iq

Keywords:

- Pigeon
- Horse
- Camel
-Andalusian
-Poetry

Article Info

Article history:

Received: 5-10-2021

Accepted: 1-12-2021

Available online

23-1-2022

Abstract

The Andalusian nature is a wonderful environment that has always inspired poets to come up with many poetical images and ideas . The overall landscape is the essential source of these poetical images which are conveyed beautifully by the poets to the recipient audience , poets also use these images to express their ideas , imagination and emotions which intertwine with the poet's essence finally leading him to express what comes to his mind.

The poet communicates with these subjects as if they were humanized , it is the empathy that calls for characterization and sharing with others through expression. Features of this environment were reflected by poets picturizing animals . A number of poetic images and groups were inspired by Andalusia with all of its characteristics and qualities , poets essentially focused on images derived from this environment while painting pictures with their words.

Many Andalusian poets attempt to describe animals in general, birds and also pigeons cooing , which is nothing but an echo

* **Corresponding Author**: Ibtihal Abdul Karim**,** E-Mail: ebtihal.faisal@tu.edu.iq
Tel: +9647**726660460 , Affiliation**: Tikrit Universit -Iraq

	that is centered in the minds and souls of these poets hence we have tackled the relationship between poets and these amiable creatures and we present the empathy for these animals.

ألفة الحيوان في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين

م. ابتهال عبد الكريم فيصل
أ.د. رمضان صالح عباد
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

الكلمات الدالة:-

– الحمامة
– الخيل
– الناقة
–الشعر
–الأندلسي

معلومات البحث

تاريخ البحث:

الاستلام: ٥-١٠-٢٠٢١

القبول: ١-١٢-٢٠٢١

التوفر على النت

23-1-2022

الخلاصة : ان بيئة الاندلس جميلة وطبيعة بديعة فقد عدت مصدر إلهام الشعراء والفيض الزاخر الذي يستمدون منه افكارهم وصورهم وموضوعاتهم والطبيعة بشتى تفاصيلها هي المنهل الرئيس الذي ينهل منه الشعراء الصور وينقلونها الى متلقٍ أو يعبر بها عن نفسه وما ينبع منها من أفكار وخيال وعاطفة ،إذ يمتزج الإحساس بالطبيعة مع نفس الشاعر فيعبر من خلالها عما يتصور في وجدانه فيشخصها ويتعامل على أنها ذوات حية تحس به ويحس بها ويخلع عليها صفات الأنسنة ،إنه التعاطف الداعي للتشخيص والمشاركة من خلال التعبير.
وانعكست ملامح هذه البيئة في تصوير الشعراء للحيوانات وظهرت عدد من الصور والمجموعات الشعرية المستمدة من البيئة الاندلسية بكل ماتحويه من مظاهر وصفات ،فقد ركز الشعراء في تصويرهم على التشبيهات المستمدة من مظاهر البيئة.
ولشعراء الأندلس العديد من الصور التي تتعلق بالحيوانات عامة والطير والحمام صوتاً وإنشاداً ، و ما هذه الطيور سوى صدى يردد لهؤلاء الشعراء الأندلسيين من مكنونات أنفسهم وعقولهم" ونتيجة لذلك تطرقنا إلى علاقة الشاعر بهذه الموجودات الحية التي يأنس الأنسان بها ويألفها، وفيما نعرضه بياناً لهذه الألفة .

ألفة الحمامة

الإنسان مولع بالطبيعة وشديد التأثر بها ،لذا يجدر أن نبدأ بالمثيرات الطبيعية وهذه تختلف حسب الحالة الذهنية للشاعر، فقد تُحرك أشجانه ويتذكر ويحن، وقد يحس أنها تتجاوب

معه فيشخصها في صورة من الصور ويحاورها ويحادثها وقد يسألها أو يكلفها بحمل السلام إلى المحبوب. ومن مثيرات الحنين الطبيعة الناطقة الحمامة، التي عرفت بإلفتها ووداعتها وقربها من الإنسان، والاهتمام بهذا الطير لألفة الإنسان له ولصوته الشجي الذي يعبر عن النفس والأحاسيس والمشاعر لأغلب الشعراء وربما كان هذا سبب ظن الشعراء أن هديل الحمائم نوح على مفارق كما ينوح الإنسان فيأنسون بهديلها وتشاركهم حزنهم ووحدتهم كماعند ابي اسحق الألبيري الغرناطي (ت٤٥٩هـ) قائلاً[١]:

أحمامةُ البيَدا أطلتِ بكاكِ فَبِحُسنِ صوتكِ مالذي أبكاكِ
إن كانَ حقاً ماظننتُ فإن بي فوق الذي بكِ من شديدِ جواكِ
إني أظنكِ قد دُهيتِ بفرقةٍ من مؤنسٍ لكِ فارتمضتِ لذاكِ
ولكنَّ ماأشكوهُ من فرطِ الجوى بخلافِ ماتجدين من شكواكِ
أنا أنما أبكي الذنوبَ وأسرّها ومنايَ في الشكوى منال فكاكي
وإذا بكيتُ سألتُ ربي رحمةً وتجاوزاً فبكاي غير بُكاكِ

تعد الصورة قمة التعبير عن المشاركة الوجدانية بين الشاعر والطير ، فهو يجعل الطير معادلا موضوعياً لذاته ، فالطائر والشاعر يتحدان في ثنايا الصورة ويكمل بعضهما بعضا على الرغم من الدواعي والاسباب .

إذ تستدعي ألفة الحمام الاستئناس بصوتها عند شعراء الاندلس مثلما وجدت جذورها عند شعراء المشرق ،إذ "تجدر الإشارة إلى أن فكرة الربط بين شجو الحمام وإثارة الذكريات والألآم والأحزان فكرة مشرقية طرقها عدد غير قليل من الشعراء في العصور والحقب المختلفة غير أن الأندلسيين قد يختلفون عنهم في طريقة معالجتهم لهذا الربط والنتائج التي يرتبونها عليه بالإضافة إلى تفننهم في تأليف الصور والجزئيات المستحسنة وطرق المزج بين مشاعر الإنسان والحيوان مع الإفادة من" المعاني التي تصور البيئة الأندلسية في مظاهرها وأشكالها وأحوالها المختلفة والنفسية الأندلسية في نزعاتها العديدة وأحوالها الكثيرة وفي ظل العديد من الظروف والملابسات"[٢] فقد أبدع الشاعر المشرقي أبو فراس الحمداني الذي سمع حمامة وهو في الأسر وكانت تنوح على شجرة فقال يخاطبها[٣] :

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حمامةٌ أيا جارتا هل تشعرين بحالي؟
معاذ الهوى ماذقتِ طارقة النوى ولاخطرتْ منكِ الهمومُ ببالِ
أيا جارتا ما أنصفَ الدهر بيننا تعالي أقاسمكِ الهموم تعالي

فالشاعر في استحضار الطبيعة يهتم بأمرين: "الأول : التعبير عن حالته النفسية سواء أسقط هذه الحالة على الموصوف أم عبر عنها من خلال وصف الطبيعة الثاني : دقة التصوير الفني

لمظاهر الطبيعة وذلك عن طريق عدة طرائق فنية منها: التجسـيم والتشـخيص وتراسـل الحواس والتعبير بالرمز الشـــعري وذلك منهج الشـــعراء في إبداعاتهم للطبيعة "[٤] وتعد ترانيم الطيور وألحانها من صـور الألفة السـمعية التي ترددت كثيراً في الشـعر العربي قديماً والأندلسـي بصـفة خاصـة وهذه الصـور مختزنة في صـورة الحمام غالباً وهي من الرموز التي تواضـع عليها الشـعراء القدامى وحُفِظتْ في الذاكرة على أنها مثير الذكريات ومشـــاعر الشـــوق والحنين ومواقف الغربة والفراق ، فهذا يونس بن عيسى المرسي يعيش في ثنائية ضدية عند سماع صوت الطيور فيطربه صوت الحمام ويبعث على الحزن صوت الغراب ، قائلاً[٥] :

فَيَطرِبُني الحمامَ اذا تَغنَّى ويَشْجِيني اذا نعبَ الغرابُ

وعن طريق التشخيص وتراسل الحواس استطاع الشاعر ان يشاركنا مشاعره عن طريق سماعه صوت الحمام ونعيب الغراب الذي يرتبط في الموروث بالتشاؤم والفراق، فالمشاركة الوجدانية بين الشـــاعر والطائر ، فصـــوت الحمام يبعث الســـرور والأنس والألفة وأما صـــوت الغراب فيثير الشجن عند الشاعر ، فأصوات الطيور مناسبة لتمثيل المشاعر ووصف الحالات النفسية ، ويبدو أن الشعراء الأندلسيين عندما يسمعون تغريد الطيور كانوا يجدون في ذلك صورة تحرّك مكامنهم ونغمةً تهز قلوبهم وتشـدهم إلى التناغم مع الطيور فيأتي شـعرهم صـورة صـوتية للأغاريد العذبة ،فالشاعر المجيد هو من يستطيع أن ينقل أفكاره ومشاعره إلى المتلقي ، فيشاركونه حالته النفسية فيأسر عقولهم ويستولي على مشاعرهم لأن نقل المشاعر والأحاسيس هو الهدف الأول للشاعر و يحقق أيضـاً المشـاركة الوجدانية بين الشـاعر والمتلقي "الحالة الوجدانية أو النفسـية التي تسـيطر على الأديب إزاء موضـــوع أو فكرة أو مشـــاهدة وتؤثر فيه تأثيراً يدفعه إلى التعبير عن مشـــاعره والاعراب عما يجول بخاطره وقد نجح الشـــاعر الامير المعتمد بن عباد في التعبير عن أفكاره وأحاسـيســه لكل مايألفه ويدور في خاطره وجعل متلقيه معنياً به مشـدوداً إليه ،فقد جعل الحمامة معادلا موضوعيا تشاركه حزنه وإحساسه بفقدان أبنائه:[٦]

بكتْ أن رأتْ إلفين ضمهما وكرُ مساء وقد أخنى على إلفها الدهـر
وناحت فباحت واستراحت بسرها وما نطقـتْ حرفاً يـبـوحُ بـهِ سـرُ
فمالي لاأبكي؟أم القلب صخرة وكم صخرة في الأرضِ يجري بها نهر
بكتْ واحِداً لم يشجها غير فقده وأبـكـي لآلافٍ عديـدهـــم كثـــرُ
بُنيَّ صغير أو خليل موافِـقٌ يمـزق ذا قفـر ويغـرق ذا بحـرُ
فَقل لِلنُجومِ الزهرِ تبكيهِما معي لِمِثلِهِما فلتَحزَنِ الأَنجـُمُ الزهـــر

وإن كان هروب الشاعر إلى الطبيعة ووصفها والاعتماد عليها في مصادر صوره، يجنبه البوح عن مشاعره الحزينة بصورة مباشرة، فذلك لأن الطبيعة وما فيها وما كان يحدث في ربوعها أيام صباه وتذكر هذه الأيام وأحداثها هو الطريق الأمثل لصبِّ هذا الشوق ، وفي الواقع إن الشاعر جعل من أسلوبه ودقة اختياره للألفاظ الموحية التي يكوّن بها الكناية ابلغ في إيصال مكنونات نفسه إلى المتلقي " ذلك إن الأحاسيس تظل مبهمة فلا تتضح إلا بعد أن تتشكل في صورة محسوسة تنبع من قدرة فائقة لدى هذا الشاعر تجعله قادرا على استكناه مشاعره واستجلائها"[٧]فالشاعر عندما يوظف الطبيعة في الصوت فهو يحرص على تحقيق الترابط و يحقق الوحدة العضوية بين أبياته ،فيما سُمي عند بعضهم بوحدة القصيدة وهكذا تعددت مداخل إدراك ألفة الحيوان عند شعراء الطوائف والمرابطين ،إذ نجد إدراك الطبيعة المتحركة من خلال الرؤية الحسية كما في أبيات ابن اللبانة ،قائلاً[٨] :

بات بأعلى غصنهِ نائحـاً يبكي على ألفـه باحتـراق
والقضب تثنيها الصبا مثلما تعانق الأحباب يوم الفراق
واحسرتا ماذا ابتلينا بـه من كامل الذرع قصير النطاق

وقف الشـــاعر على المكان من خلال مخيلته الشـــعرية ،ففي لحظة ســـكون وقف مع الذكريات ،وخفق قلبه وتذكر ديار أحبته وأيام ألفته فحنّ اشـــتياقاً للمكان ، وإذا كان للمكان أثره في نفس الشـــاعر فقد كان للحمام عاملاً آخر في ذلك، ولذلك ركز عليه الشـــاعر وأخذ في وصـــفه وأثر صـوته في نفس الشـاعر، فالمثيرات واسـطة يختلقها خيال الشـاعر لاسـتحالة تحقيق رغبة ،وهي عنصر أساسي لتحقيق التوازن النفسي وربط الصلة المقطوعة بين الذات والموضوع ، جاعلاً من صـــوره التشـــبيهية وســـيلة تقريب للألفة من خلال الطير النائح ومعانقة الأحباب ، ومن مثيرات الألفة عند ابن شهيد ذكر الحمام معبرا عن الشوق والحنين، قائلاً[٩] :

وقد شاقني الوُرق السواجع بالضحى ومن يستمع داعي الصبابة يشتقِ
على فنـنٍ من أيكـةٍ قدْ تعـلـقتْ بحبلِ النوى من قلبـيَّ المتعـلّقُ
فصدقتها في البين من غيرِ عبّرةٍ وكمْ من كثيرٍ الّدمعِ غيرُ مصدق

يرى ابن شـهيد أن سـجع الحمام حرك أشـواقه كأنه داعٍ يدعو إلى الشـوق، ويربط بين وقوف الحمائم على الأغصـان، وبين تعلق قلبه بمحبوبته بحبائل الحب التي تمتد كلما بعدت ، فصـور الحمائم تقف على هذا الحبل وتدعوه إلى التشـوق بنواحها الذي لا دموع معه، ولا يسـتنكر ابن شـهيد ذلك فهو يصـدق بكاءها، وقد لا يصـدق بكاء الإنسان بدموع غزار ولكن بلا صـدق مودة، ولا ألم فراق ،وقد عبر عن ذلك من خلال ذكر المفردات "شاقني، يشتق،قلبي المتعلق،عبرة،الدمع"

التي تدل على تشابه وتعالق وألفة من خلال صوت مثير شجي، تربط الصورة السمعية بالألفة مع ذلك الموقف . وفي مقطع آخر قرن ابن شهيد وصف الألفة بمناجاة الحمام ،لأن الحمام مضرب المثل بالألفة وهديله أشبه بالحنين إلى الألف ، قائلاً [١٠] :

ماأطربتْ فوق الغُصونِ حمامةٌ إلا رأيتَ دُموع عيني تُسكبُ
وإذا الرياحُ تَناوحتْ ألفيتني بينَ الصبابةِ والأسى أَتَقلبُ
ياعاذلي في الحُبِ مَهلاً بالأذى لوكُنتَ تَعشقُ ماظللتَ تُؤنبُ
كم حاولتْ نَفسي السُّلوَّ فَطالبتْ أَسبابهُ جُهداً فَعَزَّ المطلب

إن إبداع الشاعر للصورة الشعرية تطلب منه أنسنة المحسوس لإثارة حاسة المتلقي نحو النص الشعري ووضعه في مسار الأبداع الذي تحفظ للغة رونقها وألقها مما جعل الشاعر يوغل في رسم صورة للمشهد تتحرر فيها الألفاظ طوعتها المعهودة لتلمس أفقاً خصباً عند المتلقي ،ممتزجاً عالمه الظاهري وعالمه الباطن في لحظة شعور وأخرى لاشعور لأن هناك مناح مترسبة في أعماق الوجدان يستطيع الشاعر الفنان أن يجعلها تبرز مخترقة ستار الوعي ويلحظ الارتباط الوثيق بين نوح الحمائم والحنين في نفوس الشعراء، مما جعلهم يديرون حوارات بينهم وبينها ويسألونها وينتظرون جوابها ،وقد جاءت بعض المعاني لتعبر عن تباريح الشوق إلى الأهل والأصدقاء وإلى الانطلاق والحرية من القيود ،وتناول بعضها الحديث عن الذات ويتطور الحوار مع الحمامة عند ابن زيدون حتى يصل إلى حد الشكوى،إذيقول[١١]:

وأرق العين والظلماءُ عاكِفَةٌ ورقاء قد شفّها إذ شفنّي حزن
فَبتُّ أشكو وتشكو فوقَ أيكتِها وباتَ يهفو ارتياحاً بيننا الغُصنُ

إن حمامة ابن زيدون لم تكتف برد السؤال عما أبكاها، ولكنها ذهبت إلى حد شكوى الحال وذم الفراق ووصف الأشواق، حتى باتت وابن زيدون ليلتهما يتبادلان الشكوى و يبّدو أن الشاعر حينما خُاطب عناصر الطبيعة لم يكّن يدرك زمن الخطاب أن هذه الأشياء لا تعقل ولاتفصح ،وإنما كان موقفه النفسي يفرض عليه أن يتوجه إلى مثل هذه الأشياء ويحدث معها تواصلاً بوعي أو بدون وعي ويكشف هذا الأمر عن العلاقة الحميمة التي تربط الإنسان بالطبيعة وتحتل صورة الحمام مكانا أثير ا في مخيلة ابن خفاجه وهي تمثل امتدادا نفسيا وشعوريا لتجربته وتتردد كدوال لهيجان الشوق والحنين، فغناؤها يثير في نفس الشاعر اللهفة إلى مكان الألفة ومن ثم فهو يخلع عليها إحساسه وحالته النفسية ، قائلاً[١٢]:

وماشاقَني إلا حفيف أراكةٍ وسجعِ حمام بالغميم تزَّنَما

وسرحَة واد هزَّها الشوقُ للصِبا وقد سجع العصفور فجراً فهيمنا(١٣)
أطفتُ بها أشكو إليها وتشَتكي وقد ترجـمَ المكّـاءُ عنْها فأفهما
تحنُ ودمع العينِ يسجمُ والنّدى وقـرَّ بعيـني أن تحـنَّ ويسجُما
وحَسبُكَ من صبٍّ بكى وحمَامةٌ فلـمْ تدرِ أيّـمَا الصـبِّ منَهـما

ان الاندماج بين الشـاعر والطبيعة يبلغ مداه، فهو يطوف بسـرحة الوادي يبثها شـكواه وتبثه شـكواها، يحن ويذرف الدمع وتحن هي الأخرى وتذرف الدمع كما يتجاوب الحمام أيضـا مع الشـاعر، فيبكي مثلما بكى الشـاعر العاشـق، فالحمام يطرب بسـجعه وترجيعه عشـاق الطبيعة والجمال يهيج الاشـجان في قلوب المحبين ويحرك لواعج الشـوق في النفوس وماان يذكر الحمام حتى يذكر معه الألفة والحنين فهديله نواح يتعب الغريب ويثير أشـجانه فيشـاركه في البكاء والشجن ،ويوظف الشاعر الاستعارة لمعاني الشوق والحنين بحيث يستعير لفظة" يطربه"،التي هي من خصائص الإنسان للحيوان أو الجمل الذي كان يركبه ليلا وهو في رحلته (١٤):

ويطربهُ سجع الحمامةِ بالضحى فيلوي أليها ليته متفهما
وماكان يدري مالحنين على النوى ولكنني أعديتـه فتعلما

لقد جعل من الجمل إنسانا يتفهم سجع الحمام ويحن عندما يسمع صوته وهي صفة تنطبق في حقيقة الأمر على الشـاعر وليس على الجمل وهذا ما صـرح به البيت الثاني لأن الألفة مع الحيوان تبدو كأنها قلباً نابضاً بالحياة يشعر بآلامها وآمالها كما انها وليدة اللاشعور وأنها كالحلم تتخذ من الرموز أو الصـور النفسـية مايـنّفس عن الرغبات ، ونتيجة لما عقده الشـاعر مع جَملهِ وفهم أحدهما للآخر تأثر الحيوان بما تاثر به راكبه وجعل ذلك مثل عدوى المرض "ولكنني أعديته فتعلما" وهي اسـقاط مافي نفسـه على حيوانه وجعله يتآلف مع الطير في حالة تبادل للمشـاعر المحسوسـة التي تنبع من ألفة ، اما ابن شـهيد فيتحدث عن حمامة ناحت بقرب شـباك سـجنه فعقد معها ألفة تخيل إنها تحاوره فبادلها الحديث وشـكا إليها مايقاسـيه ،وبادلته الشـكوى، معبراً عن حالته قائلاً(١٥):

وَقلت لصداح الْحمام وَقد بَـكَى على الْقصر إلفا والدموع تجود
الا أَيهَا الباكي على من تحـبه كِلَانَا معنـى بالخـلاء فريـد
وَهل أَنْت دَان من محب نأى بِهِ عَن الالف سُلْطَان عَلَيْهِ شَدِيد
فَصَفَّقَ عَن ريش الجناحين وَاقِفًا على الْقرب حَتَّى مَا عَلَيْهِ مزِيد
وَمَا زَالَ يبكينـي وأبكيـه جاهـدا وللشوق من دون الضلوع وقود
إِلَى أَن بَكَى الجدران من طول شجونا وأجهش بَاب جانباه حَدِيـد

استدعى الطبيعة لتشاركه حزنه وصنع مشاركة وجدانية وتقابلا موضوعيا بينه وبين الحمام "كلانا مُعنّى بالخلاء فريد" مؤنساً الحمام بجواره ،إنه تبادل المثير والتأثير فكلاهما يندب صاحبه لفقد الأليف،ولم يقف الشاعر عند الطبيعة الصائتة "الطير" بل امتد إلى مزج المشاركة مع الطبيعة الصامتة "الجدران، باب جانباه حديد "في حالة استغراق، منح فيها الجمادات صفة انسانية تشخيصية جعلها تندب وتشجو، فالباعث للحزن هو فقد الأليف ،مما عبر الشاعر عن تمازج الذات مع الطبيعة ، وقد اتسمت أبياته بألفاظ شديدة الحزن وتصوير الحال بأسلوب مؤثر ومعانٍ تدعو الى الرضا بالقضاء والقدر، وهكذا نجد ان ألفة الحمام عملت على تأدية "وظيفة خلق الجو الشعري الذي يمنح الشاعر القدرة على القول ، لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه من الاحساسات ويدور في ذهنه من الأفكار والحوادث فمن خلال النماذج الشعرية في ذكر الحمام يتبين انها تتصف بالرقة والعاطفة القوية وتصوير مكامن النفس نجد الاستاذ عبد الله خضر يقول :"وقد نستطيع ان نذكر أمراً آخر في بكاء الحمام كما يصوره بعض الشعراء وهو لفت النظر إلى أنه ليس كل من يبكي أو يظهر الحزن يعبر عن مصاب جلل في نفسه أو ذويه ، وإنما لمجرد الترنم والنغم لا ظل له من أعماق القلب وأغوار النفس" [١٦] نستنتج من ذلك ان شعراء الاندلس عندما يصفون الطيور كانوا على خبرة تامة بطبائعها وأسرارها، ويكفي على ذلك دلالة هذه النصوص.

الغراب

على الرغم من ألفة الأنسان للطير هناك تقابل ضدي وهو التطير من بعض الحيوانات كالغراب مثلاً وهي دلالة أسطورية سلبية ومن الرموز التي وضعها الشعراء القدماء[١٧] ومنهم شعراء الاندلس[١٨] على أنه نذير شؤم وباعثٌ على التطير من المستقبل غير أن دلالة طائر الغراب في شعر القرن الخامس الهجري لم تقف عند حدود هذه الدلالة الأسطورية المبنية على التطير والتشاؤم من البين والفراق ، بل تعدتها إلى دلالة رمزية أخرى مناقضة وإيجابية وهو ما نقع عليه في نموذج فريد من نوعه للمعتمد بن عباد ، وهو كما يصفه أحمد عبد العزيز: "شيءٌ جديد من أثر الحياة الجديدة التي عاشها المعتمد في الأسر حيث صارت عنده كالحمائم رمزاً للحب والألفة والاستئناس ، وصار نعيبها بشرى بوصول المحبوب بدلاً من التطير والتشاؤم المعروفين عنها

يقول المعتمد وقد نعبت غربان بجدار المكان الذي كان فيه ، ثم ورد إثر ذلك النبأ بقدوم بعض نسائه عليه ، فقال [١٩] :

غربانَ أَغماتَ لا تَعدَمْنَ طَيّبةً ... مِنَ اللَيالي وَأفناناً مِن الشَجرِ

تُظِلّ زُغبَ فِراخٍ تَستَكِنُّ بِها ... مِنَ الحَرورِ وَتَكفيها أَذى المطرِ

كَما نعبتُنَّ لي بالفألِ يُعجِبـُني مُخبِّراتٍ بِهِ عَن أَطيَبِ الخـبرِ
أَنَّ النُجومَ الَّتي غابَت قَد اِقتَرَبَت مَنّا مَطالِعُها تَسري إِلى القَمَرِ
عَليَّ إِن صَدّق الرَحمانُ ما زَعمَت أَلّا يُرَوَّعنَ مِن قَوسي وَلا وَتَري
وَاللَهِ وَاللهِ لا نفَّرتُ واقعَـــها وَلا تَطَيَّرَتِ الغِربـانُ بِالعـوَرِ

صـــوت الغراب ممثلاً في النعيب–في مخالفة للتراث– يتحول إلى نقيض رمزيته الأولى "التطير والشـؤم" فيكتسـب دلالة إيجابية جديدة هي البشـرى بقدوم الأحبة وليس التطير من فراقهم ،وقد استمد الدلالة الايجابية من الحدث السار الذي عاشه الشاعر فتلونت مشاعره بالسعادة والسرور بقدوم من يحب وأصبح فأل خير لا فأل شؤم وهي صورة تتسم بكثير من الجدة قلما نعثر عليها في شـعرنا العربي عامة والاندلسـي بوجه خاص ،فكانت دلالة الغراب مثير للألفة والسـرور عند الشاعر لقد صنعتها تفرد التجربة الأليمة التي عاشها المعتمد في الأسر.

الخيل

أن صـلة الشـاعر بالطبيعة المتحركة تتسـم بضـربٍ من الأنسـنة والإحسـاس بالحيوانات وقدرتها على استيعاب مشاعر الأنسان فضلاً عن صلتها بمكونات بيئتهم الخصبة، إذ أضحت هذه الحيوانات شريكاً مهما للشاعر للتعبير عن أفكاره ومشاعره وقد تناول شعراء عصر الطوائف وصف الفرس فوصفوا سرعته وألوانه المختلفة كالاشهب والادهم والاشقر وكانت أغلب أوصافهم مشرقية،كما عند ابن حمديس يصف فرسا كان المعتمد بن عباد يؤثر ركوبه فيقول ابن حمديس في وصف الفرس(٢٠):

غرٌّ محجلةٌ تكامل خلقـها بمجانس من حسـنها ومطابـق
وكأنما حيّت علُاك وجوهـها فاسأل فيها الصبح بيض طرائق
وإذا الجلال تجردت عن جردها لبسـت غـلالة كـلّ لـونٍ رائـقٍ
من كل طرفٍ يستطير كطرفةٍ جـرياً فوثبـتهُ غـلاب السابـق

تتجلى النزعة الانســانية في وصــف الفرس فتراه لايقف عند الاوصــاف التقريرية الجامدة وانما تجعله تلك الالفة يرتفع بحصــانه الى درجة تصــل حد مدحه والاشــفاق عليه ،ويظهر ذلك من خلال الصورة التي ينقلها الشاعر عن الحصان لأن العربي يعشق الحصان ويألفه ،لأنه المشارك له في أصـعب الأوقات في القتال وفي التنقل فأحياناً يكون مشـاركاً له في بعض المواقف بقسـوة الزمن وأحياناً يكون منجاة له من الضيق ،فيشكو مثلما يشكو صاحبه ويحن ويصغي ويسمع فهو أكثر الحيوانات ذكاءً وألفة وقرباً للإنســان ، لقد عبر الشــاعر عن وصــفه لجمال الخيل بدقة التعبير وصدق العاطفة تجاه الممدوح ، فمزج بين الطبيعة و الممدوح في السمو والعلا ، فحققت

الألفاظ " محجلة، حييت، جريا " تجاوبا مع انفعاله ونضجاً في منجزه الشعري ، وهذا ما يتطابق تماماً مع رؤى اغلب النقاد حيث أشاروا إلى أهمية الألفاظ والتراكيب اللغوية في انضاج النص الشعري ، والوصول به إلى صورة تكاملية ، كما إن ابن حمديس حينما وصف محاسن وجمال الخيل ، ومضفيا عليها أوصاف الحب والطبيعة

وفي تأملنا لأغلب نصوص ابن حمديس الشعرية نجد أن الاستعارة شكّلت ركناً مهماً من اركان التصوير لديه ،لأنها تبرز صورة جديدة تختلف عن معناها المألوف فضلاً عن انها تعطي دلالات كثيرة بألفاظ قليلة، فالاستعارة " اوضح المجازات في صورة افق الشاعر الذي يصوغ فيها خطراته ، وهي مجال ابداعه بها يتحرك الساكن وينطق الجماد ،وبها يستطيع الشاعر أن يجمع العالم ويفرقه في عبارة واحدة ، فالاستعارة اهم اداة من ادوات الصورة ، وفيها مجال الشاعر في استخدام اللغة" [٢١] ، إذ يلجأ الشاعر إلى أسلوب الحوار لبيان حميمة علاقته بفرسه بعدما استحالت هذه العلاقة إلى حوار مباشر يجريه الشاعر مع فرسه مما كشف عن أنسنة تتجاوز المالوف إلى تعميق لعلاقة إنسانية ذات طبيعة تواصلية بين الفرس والشاعر ،و ان وصف الفرس في النماذج الشعرية هو نص مؤسس يفترض علاقة التبادل والتداخل بين الشاعر وفرسه إذ يقدم الفرس بما يمتلكه من امدادات هائلة أراد الشاعر من خلالها اسقاط الصفات على نفسه .

الناقة

ان ابداع الشاعر للصورة الشعرية يتطلب منه أنسنة المحسوس والذهني لإثارة حاسة المتلقي نحو النص ووضعه في مساره الإبداعي الذي يحتفظ للغة بجمالها وألقها دون أن يجعلها وسيلة للتعبير فقط كما عند ابن خفاجة يصف ألفته للناقة ، قائلاً[٢٢]:

فها أنا والظلماء والعيس صحبة ترامى بنا أيدي النّوى كل مرتمي

لقد أنسن الشاعر" الليل "و"العيس "وبث فيهما مشاعر الغربة والوحشة وجعلهما يشاركانه ألمه، كما جسم " النوى حين شبهه بالإنسان فحذف هذا الأخير وأبقى على شيء منه وهو الأيدي ،، لقد أحب الشاعر ناقته واشتدت الألفة بينهما فرفعها إلى مستواه فاتخذ منها صديقة مصاحبة وكأنها انسان تقاسمه المشاعر وتشاطره الهموم فأضفى عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء فناجاها وسمع إلى شكواها وعبّر عنها وكأنه لسانها إذا نطقت أو وجدانها إذا أفصحت،وهذه،الألفة،بذاتها،ويظهر ذلك جلياً في الشعر العربي على مر العصور، فالشاعر ابن البيئة التي وُلد ونشأ فيها .

فهو يعبر عنها ويصور الحياة التي يعيشها بكافة جوانبها الاجتماعية والفكرية لأن وظيفة الشعر ليست عملية تصوير للإحساس ، بل عبارة عن الإيحاء للواقع الذاتي للشيء المارد التعبير عنه

ليصـل إلى المتلقي ويؤثر فيه ، فقد أثار الحيوان والطير بكل صـفاته وخصـائصـه خيال شـعراء الأندلس لمعرفة ماتتميز به تلك الحيوانات من صـــفات وســـلوك خاص بها ، فاســـتخدموا من الطبيعة الصائتة وسيلة للتعبير عن تجاربهم وأمالهم والآمهم ومشاعرهم في الحياة مشاركين لهافي خصـائصـها فكانوا يستدعون الطبيعة الصـائتة سواء في أفراحهم أو أحزانهم أو عندما يتفاءلون أو يتشـائمون ، فتارة يجعلون البطل حيواناً ناطقاً ، وتارة يستعيرون منه صـفاته أو مسلك من سلوكه ويوظفونه في خدمة النص وسياقه .

الهوامش

١. ديوان ابي اسحق الألبيري: ٣٣٠
٢. وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين:١١٠
3. ديوان ابي فراس الحمداني :٢٣٨
٨. الرومانتيكية:35
٩. تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف:311
٤. ديوان المعتمد بن عباد :20
٥. التفسير النفسي للادب:74
٧. الذخيرة :2/ 701
٩. ديوان ابن شهيد :١٠٣
١٠.م.ن : ٨٨
١١.ديوان ابن زيدون: ١٦٢
١٢.م. ن:٢٣٦
13.السـرح:نوع من الشـجر الكبير، وتعني أيضـاً: حركةالماشـية في المرعى،ينظر:المعجم الوجيز، مادة (سرح)
١٤.ديوان ابن زيدون:١٧٣
١٥.ديوان ابن شهيد: ٦٣
١٦.وصف الحيوان في الشعر الاندلسي:١١٧
17.من المعاني المطروقة في الشـــعر العربي التطير برؤية الغراب لأن العرب تظن أنهما طائر شـــؤم ومنذر بالتفرق والشتات لذلك ذكرها الشعراء في موقف الفراق وسموا الغراب "بغراب البين "، ومن مشهور ما قيل في هذا الباب قول قيس بن ذريح:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أُحاذر من لبنى فهل أنت واقعُ

ينظر: ديوان قيس لبنى : ٥٦
18. تتشابه المعتقدات والمعاني بين شعراء الاندلس وشعراء المشرق فيتطيرون من الغراب ويسمونه نذير البين كما عند ابن الكتاني الاندلسي، إذ يقول :

إذا رأيت وجوه الطير قلتُ لها: لا بارك الله في الغربان والصرد(*)ينظر: جذوة المقتبس :1/ 46

(*) الصـــرد : طائر كانت العرب تتطير منه فمنع النبي (ﷺ) قتله في الحرم ، لتغيير ما كانت العرب عليه من اعتقاد من الطيرة والتشاؤم مفرده (صُرد) ، ينظر : لسان العرب مادة(صرد) : ٣٠٦

١٩.الذخيرة:٣/٢/٦٢

٢٠.ديوان ابن حمديس:٤٥٦

٢١.أسرار البلاغة :٤١

٢٢.ديوان ابن خفاجه:٢٧٣

المصادر

- أسـرار البلاغة في علم البيان،عبد القاهر الجرجاني صـححها محمد رشـيد رضـا ،دار المنار،مصر، ط4 ،1974م.
- تاريخ الأدب الأندلســي عصــر الطوائف والمرابطين، احســان عباس،،دار الثقافة ،ط٥ ،بيروت١٩٧٩م.
- التفسير النفسي للأدب ، عزالدين إسماعيل ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٨٤
- جـذوة المقتبس في تـاريخ علمـاء الأنـدلس ، للحميـدي أبي عبـد الله محمـد بن فتوح (ت٤٨٨هـــ) ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩م .
- ديوان ابن خفاجه ،تحقيق سيد غازي ،منشأة المعارف الأسكندرية، ط٢ ،١٩٧٩م.
- ديوان ابن شـهيد الأندلسـي ، جمعه وحققه : يعقوب زكي ، راجعه : د. محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ت) .
- ديوان ابي اسحق الألبيري، تحقيقد، محمد رضوان الداية ،ط٢، دار قتيبة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م
- ديوان أبي فراس الحمداني ، شــرح وتحقيق وتعليق : ســامي الدهان ، المعهد الفرنســي بدمشق ، بيروت ، ١٩٤٤م .
- ديوان المعتمد بن عباد (ملك اشــبيلية)جمع وتحقيق د.حامد عبد المجيد و د.أحمد بدوي ،مراجعة د.طه حسين ،ط٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
- ديوان قيس لبنى ،عفيف نايف فاطوم ، دار صادر ،بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م.
- الذخيرة في محاســن أهل الجزيرة ، تأليف : أبي الحســن علي بن بســام الشــنتريني (ت٥٤٢هـــ) ، تحقيق : الدكتور إحسـان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ،ط١، ١٩٧٥م .
- الرومانتيكية ، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، 1971

- لسان العرب لابن منظور ت(٩١١هـــ) ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط ، ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٣ م .

- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، المجلد الاول ، القاهرة ١٩٩٨

- وصف الحيوان في الشعرالاندلسي،عصر الطوائف والمرابطين،حازم عبد الله خضر، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، 1987م.

Referens

-Abbas, Ihsan (1979). *Ta'reekh ul-Adab il-Andalusi: 'Asru ut-Tawa'ifi wal-Murabiteen.*, Beirut: Dar uth-Thaqafa. 1979.

-Al-Albiri. Abu Ishaq. *Diwanu Abu Ishaq Al-Albiri*, investigation, Muhammad Radwan Al-Daya. Dar Qutaiba 1981..

-Al-Hamdani, Abu Firas. *Diwanu Abi Firas al-Hamdani*. Ed. Sami Al-Dahan (1944), Damascus, French Institute , 1944.

-Al-Hamidi, Abi Abdullah Muhammad Bin Fattouh (d. 488 AH). *Jathwat ul-Moqtabas fi Ta'reekhi 'Olama'i il-Andalus.* Ed. Ibrahim Al-Ibiari, Cairo, Dar Al-Kitab Al-Masry, 1989.

-Al-Jurjani, Abd al-Qaher(1974). *Asrar al-Balagha fi 'Ilm il-Bayan*. Ed. Muhammad Rashid Rida. Cairo: Dar al-Manar, 1974.

-Ash-Shantarini, Abi Al-Hassan Ali bin Bassam (d. 542 AH) *Al-Dhakhira fi Mahasin Ahlil Jazira*. Ed. Dr. Ihsan Abbas, Tunis, Ad-Dar ul-Arabiati lil-Kitab, 1975.

-Fatoum, Afif Naif. Ed. (1988). *Diwanu Qais Lubna*, Beirut. Beirut: Dar Sader, 1988.

-Hilal, Mohamed Ghonimi (1971). *Ar-Romantikiya.* Cairo: Dar Nahdhat Misr, 1971.

-Ibnu Abbad, Al-Mo'tamad. *Diwan Al-Mo'tamad bin Abbad.* Ed. Dr. Hamid Abdul-Majeed and Dr. Ahmed Badawy. Cairo Dar ul-Kutub il-Misraira, 2000.

-Ibnu Khafaja. *Diwanu Ibni Khafajah*. Ed. Sayed Ghazi (1979) , Alexandria Monsha'at ul-Ma'arif, 1979.

-Ibnu Mandhur (911 AH). *Lisan al-Arab*, Cairo, Dar al-Hadith, 2003 .

-Ibnu Shaheed. *Diwan of Ibn Shaheed Al-Andalusi*, Ed. Yaqoub Zaki, Reviewed by: Dr. Mahmoud Ali Makki, Cairo, Dar Al-Kitab Al-Arabi, n.d.

-Ismail, Izz Al-Din (1984). *At-Tafseer un-Nafsei lil-Adab*, Cairo: Dar Al-Maaref, 1984.

-Khader, Hazem Abdullah. *Wasf ul-Haiwani fish-Shi'r il-Andalusi: 'Asr ul-Tawa'ifi wal Murabiteen.* Baghdad: Dar ush-Sho'uni ith-Thaqafiya, 1987.

-Majma' ul-Lughati il-Arabia. Ed. *Al-Mo'jam ul-Wajeez* (*Volume One*), Cairo, Majma' ul-Lughati il-Arabia, 1998.